

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

- قسم التاريخ -

جامعة 08 ماي 1945

- قالمة -



محاضرات في مقياس الفكر السياسي الإسلامي

من إعداد الدكتور(ة):

السنة الدراسية 1443-1444هـ / 2022-2023م

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدة التعليم الاستكشافية

اسم المادة: الفكر السياسي الإسلامي.

الرصيد: 01

المعامل: 01

محتوى المادة:

. ماهية الدولة في التشريع الإسلامي .

. بيعة العقبة .

. حكومة النبي (ص).

. نظام الشورى.

أهداف التكوين:

- استكشاف الطالب للتجارب السياسية الإسلامية في الحكم.
- الاطلاع على الإنتاج السياسي بعد قراءة ونقد هذه التجارب السياسية.
- التعرف على الفكر السياسي في بلاد المشرق ونظريات الحكم.
- المقارنة بين الفكر السياسي ومحاولات تطبيقه من طرف الفرق وأهل الحل والعقد والسلطات المختلفة في بلاد المشرق الإسلامي والصراعات التي حدثت بسببه.
- كيفية تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة.
- كيفية انتقال الحكم إلى الخلافة الراشدية .
- المعارضة وأشكالها من ناحية الفكر والمشاريع العسكرية

1/ مقدمة:

خاطبت المصادر التشريعية العقل الإسلامي ودعته إلى ضرورة الاستفادة من تجاربه وتجارب الأولين، لتكوين رصيد فكري عقدي-فقهي يهدف إلى تقويم وجوده على الأرض وأداء رسالته وتجسيد الحكمة من خلقه، وتعد خلافة الإنسان في الأرض ضمن الاهتمامات التي شغلت هذا العقل ودعته إلى التأسيس لاتجاه يعالج القضايا والمسائل المرتبطة به، اعتماداً على مصادر الشرع وعلى تجارب الشعوب التي سبقته وهو ما حدث بعد ترجمة التراث اليوناني والفارسي والسرياني إلى اللغة العربية، وأحدث هذا الأمر نقلة نوعية في التأسيس لفكر يستند إلى أصول من القرآن والسنة من جهة ومن جهة أخرى يقدم لنا تجربة المسلمين منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في التأسيس لدولة يتم بناؤها وفقاً لفهم وتطبيق تعاليم الدين الجديد.

إن بناء الدولة واجتهادات الخلفاء في كل عصر وزمان أسال مدادا للتشريع والتأصيل ووضع الضوابط التي تقوم عليها الدولة، لاستنباط مدى قدرة المجتمعات الوسيطة على صياغة القوانين اللازمة لضبط سلطة الحاكم ومنع إطلاق يده لتقرير مصير الأمة دون وثيقة أو أحكام أو قانون رادع ومقيد لتصرفاته؛ على هذا الأساس أفرز الفكر والتفكير العربي الإسلامي مؤلفات هامة سميت بالأداب السلطانية تضمنت مفردات للتنظيم والتقييد أحياناً وللنقد أحياناً أخرى ولتبرير تصرفات السلطان في كثير منها أو بصيغة أدق ليجد له المفكر الصبيغة الشرعية لطرق ووسائل تسييره للدولة.

لابد من الإشارة والتنبيه إلى أن هذا الفكر استمد حريته الفكرية من كون القرآن والسنة اكتفيا بذكر المسائل المرتبطة بالخلافة والدولة أو الإشارة إليها بصيغ متعددة مثل: الاستخلاف، العدل، الشورى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يفصل فيها ويحسم كل خلاف بين أهل الكلام والفقهاء على غرار العبادات مع أهميتها وحاجة الأمة للفصل فيها.

هذا الأمر جعل من تقديم المقياس للطلبة لربط الفكر بالواقع التاريخي ضرورة هامة خاصة أنه سيطلع على الأحداث الكرونولوجية التي ميزت التاريخ الإسلامي في أغلب فتراته، وبالتالي فهو بحاجة أمس إلى الاطلاع على التطور الفكري السياسي بالموازاة مع التطور التاريخي.

الطالب يحتاج إلى معرفة الآراء والتجارب التي عاشتها الخلافة الإسلامية على مدى امتداد العصر الإسلامي الوسيط، فكيف ساهمت المؤلفات السلطانية في إعطائنا مختلف التشريعات لتأسيس الدول وبنائها وتسييرها؟ هل قدمت لنا مفاهيم واضحة لمصطلحات الدولة وما ارتبط بها؟ كيف تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم بأقل الإمكانيات وفي ظل ظروف عصيبة من بناء مجتمع يتوفر على عناصر سياسية تعجز النظم الحديثة عن التنظير لها وتجسيدها؟ ما هي الخطوات التي اتبعت لناء الدولة النبوية الجديدة؟ ما هي أركانها ومعالمها؟ هل يمكن أن نقول أن المجتمعات الإسلامية جسدت الشورى في مسارها السياسي والتاريخي؟ ماذا أنتج المسلمون من فكر سياسي لمنافسة ما قدمته الشعوب الأخرى؟

لابد من التنبيه من البداية إلى أن العناصر المبرجة في عرض التكوين غير كافية لفهم وإدراك الكثير من النقاط المتعلقة بالتشريع الإسلامي وعلاقته بالجانب السياسي؛ تحتاج الدراسة البيداغوجية لتأصيل المصطلحات وتوضيح الصورة للطلاب قبل التعمق في محاور المقياس، وهو أمر مهم نحتاج لأن نبثه في الطلبة من خلال الرجوع إلى القواميس والمعاجم المعاصرة لموضوع التخصص والمقياس المدرس، بالإضافة إلى الموسوعات والمعاجم الاصطلاحية والفلسفية الحديثة، واجتهادات الدارسين والباحثين ومجموع الأساتذة المتخصصين أو ممن لهم تخصصات تقرب المفاهيم وتساعد على حسن استيعاب كل المعلومات والمعطيات التي يقدمها الأستاذ.

من هذا المنطلق أردت الانطلاق من مفهوم الفكر الإسلامي ثم التخصص في مفهوم الفكر السياسي الإسلامي كميدان خاض فيه علماء الإسلام في فترة العصر الإسلامي الزاهر وحتى العصور الحديثة.

من الضروري معرفة الطالب أن مسائل الإمامة وأحقية الحكم فتحت نافذة للتأليف فتركنا لنا فترة العصور الإسلامية الزاهرة رصيذا من الأدبيات التي لا يمكن إحصاؤها لكن اكتفيت بذكر مجموعة واسعة منها في ملاحق المطبوعة؛ كما أن الباحثين والدارسين المحدثين قدموا لنا كتابات دقيقة وعميقة للموضوع لا يمكن إحصاؤها في هذه المقدمة.

2/- مفاهيم ومصطلحات مرتبطة بالفكر السياسي الإسلامي:

1/- مفهوم الفكر الإسلامي

الفكر:

لغة:

ورد الفعل "فكر" لدى ابن منظور¹ وقال فيه:

"الفكر والفكر: إعمال الخاطر في الشيء"

"الجوهري: التفكير التأمل"

"يقال ليس في هذا الأمر فكر ليس فيه حاجة"

من خلال قراءة هذا النص أو هذا الشرح ومقارنته بالمعاجم الأخرى² فإننا نجد أغلب المعاني المرتبطة بمادة فكر تصب في معنى التأمل وإعمال العقل، واستنباط أو الانتباه إلى مسائل جديدة.

اصطلاحاً:

من الناحية الاصطلاحية نستعمل بما قدمه علماء المسلمين معنى للفكر والتفكير فنجد:

أبو حامد الغزالي³ يقول: "ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم..." ويقول أيضاً: "اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة... وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصله... فالمعرفة نتاج المعرفة، فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية"، نلاحظ أن هذا العالم الفيلسوف الذي يعود إلى القرن 5هـ/11م يجعل من معنى التفكير الذي ورد في القرآن الكريم القاعدة اللغوية والعلمية التي استخلص منها المفهوم الاصطلاحى الذي يقف على بناء المعرفة اعتماداً حسب ما تم التوصل إليه من معارف سابقة.

وقد انتقيت بعض المفاهيم قدمت لتحديد معنى الفكر، منها:

ما ورد في المعجم الفلسفي⁴ فإن الفكر: "هو جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة بوجه خاص: - ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية / - اسم لصورة العمل الذهني، بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق"

"الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواءً أكان قلباً أم روحاً أو ذهنًا بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء"⁵

من هذه المعطيات اللغوية الاصطلاحية العامة قدم أحد الدارسين مفهوماً للفكر الإسلامي بشكل مخصص عن عموم الفكر ذكر فيه:

"إن الفكر الإسلامي هو حصيلة ما أنتجه العقل المسلم، منذ نزول قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: 1،

إلى ساعة نهاية الوجود الإنساني، في مختلف الموضوعات، في مختلف الموضوعات والإشكالات والقضايا المرتبطة بحياة

الإنسان، مسلماً كان أو غير مسلم، وبذلك فمجال دراسته وبحوثه يتسع لكل قضية يستطيع العقل أن يمارس فعله فيها

بالتفكير والنظر والتحليل والاستنباط..."⁶

من خلال ما ورد من معاني ومفاهيم، نجد أن الفكر هو ما يندرج في قراءة الواقع سياسياً ومذهبياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وصياغته بشكل فلسفي يستند إلى ما تم تداوله نظرياً أو ممارسته بشكل عملي، وبذلك يتكون رصيد متواتر شفوي أو تأليفاً، وكلما أصبح راسخاً في الذهنية التخبيوية والعامة كلما أصبح يعبر عن هوية وثقافة وشخصية تلك المجتمعات وينسب إليها دون غيرها.

السياسة:

لغة:

جاء في لسان العرب⁷ لابن منظور السياسة من الأصل "سوس"، وورد فيه:

"السوس الرياسة، يقال ساسوهم، يقال ساسوهم سوسا، وإذا رأسوه قيل: سؤسوه وأساسوه"
"ساس الأمر سياسة قام به"

"الجوهري: سست الرعية سياسة، وسوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم"
"والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه"

"ومن الدلالات اللغوية للسياسة: التدبير والإصلاح، أي القيام على الشيء بما يصلحه"⁸

"وقد ورد في كلام عمرو بن العاص، يصف به معاوية فيقول: وجدته ولي المظلوم والمطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير..."⁹

وما نلاحظه من خلال هذا التعريف اللغوي أن السياسة تعني ولاية أمور الرعية والقيام على مسؤولية قوم، وتدبير أمورهم وإصلاحها.

اصطلاحا:

عرف علماء المسلمين السياسة بم لا يتعارض مع المصطلح اللغوي:

"السياسة: حياة الرعية بما يصلحها لطفًا وعنفا"¹⁰

"لا سياسة إلا ما وافق الشرع... السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد"¹¹

"هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل"¹²

وردت عدة اجتهادات لتعريف السياسة عموما، وهي لا تخرج عن إطار ممارستها في الدول الإسلامية منذ نشأتها الأولى، فقط يبقى الرجوع والامتنال إلى الشرع هو الفاصل بين ممارسة السياسة في ضمن هذا الإطار الجغرافي، نذكر منها:

- احترام الحكم والسلطان؛ أي ممارسة السلطة على الناس في المجتمع؛ ومن المفكرين من يعرف السياسة بأنها اجراءات لتحقيق القيم الدينية والاقتصادية في سلوك الناس وعلاقتهم ونظام حياتهم؛ ومنهم من يرى أنها نظريات لتنظيم المجتمع وعلاقات البشر¹³.

- "للسياسة معنى عام يتصل بالدولة والسلطة، فهي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وتدبير أمورهم"¹⁴

- "وتعرف السياسة بأنها تنظيم لأمر الدولة وممارسة السيادة داخليا والعناية بمصالح وشؤون الفرد والمجتمع، داخل الدولة وخارجها؛ ولما كانت السياسة أساس الحكم لذا سميت أفعال ولي الأمر بالسياسة"¹⁵

وقد ذهب كل من الأحناف والحنابلة والمالكية إلى أن السياسة لا تقف عند حدود النصوص الشرعية بل تذهب إلى روحها¹⁶:

- قال الأحناف السياسة داخلة تحت قواعد الشرع، وإن لم ينص عليها بخصوصها.

- وقال القراني المالكي: إن التوسعة على الحكام في الأحكام السياسية ليس مخالفا للشرع، بل تشهد له الأدلة والقواعد.

- وقال ابن عقيل الحنبلي: للسلطان سلوك السياسة وهو الحزم عندنا، ولا يخلو من القول فيه إمام، ولا تقف السياسة على ما نطق بها الشرع.

أما الشافعية فالسياسة عندهم يجب أن تكون في حدود الشريعة لا تتعداها، فلا سياسة إلا وفق الشرع¹⁷.

من الضروري جدا التأكيد على أن مصطلح السياسة ارتبط بشكل دائم مع تعاليم الشرع، وجاء مصطلح السياسة الشرعية كتعبير عن ممارسة الرياسة والإمامة وكل ما ارتبط بها من وظائف في إطار حدود الشريعة، على هذا الأساس وبعد الاطلاع على معاني السياسة، نعرف الشريعة حتى يتحقق المعنى التام للمصطلح.

الشريعة: ما شرعه الله لعباده من الدين أي من الأحكام المختلفة، وسميت هذه الأحكام شريعة لاعتبار وضعها وبيانها واستقامتها، وهي موجودة في القرآن والسنة النبوية، أوحى بها الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ليبلغها للناس¹⁸.

إذن يمكن تعريف السياسة الشرعية على أنها: تدبير أمور الرعية والقيام بمسؤولية الإصلاح العام للمجتمع، وتحقيق العدل بين الناس وفقا لما تقتضيه الأحكام التي شرعها الله سبحانه وتعالى في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه الرعية الأول من صحابة رسول الله وتابعيه.

وإذا دققنا في مفهوم الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية، وجدناهما تحققان معنى واحداً، وهي جعل الشريعة¹⁹ مصدراً تستمد منه السلطة قوانينها وقيمتها، وحدودها التي تطبقها بهدف حفظ النظام العام بالدولة، ونستدل هنا أن موضوع كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية هو: "القضاء وطرق الإثبات والسياسة الشرعية في التي يجب على الأمراء والحكام والقضاة أي يسلكوها ويقفوا عندها، ولا يتجاوزوها في كل مكان وزمان، لتحقيق الصلاح للناس وإبعاد الفساد..."²⁰.

نرجع أيضا على توضيح معنى:

الأحكام السلطانية:

مصطلح مركب من مفردتين، الأولى الأحكام وتعني: كل ما يفرضه الشارع على أفعال المكلفين، من: واجب وحرام ومندوب ومكروه ومباح، السلطانية: تعني كل الأحكام الشرعية التي ترتبط بالسلطان، فتوجه أفعاله، وتنظم قوانينه، وتحدد واجباته، وتضبط حقوقه مع الرعية ومع الله، وإن كانت الاجتهادات موجهة هنا لمعرفة مفهوم هذا المصطلح فإن الفقهاء قديما والباحثين حديثا جعلوه لا ينفصل عن مفهوم السياسة الشرعية.

إذن يمكن تعريف الفكر السياسي الإسلامي بأنه جملة النشاط الذهني الذي أنتجته النخبة في العصر الإسلامي منذ نزول الوحي لتقوم السلطة وتوجيهها وفقا لما ورد في الشرع، واستنادا للأحداث والممارسات والآراء التي عرفتها الدولة الإسلامية عبر تاريخها.

